كتاب

تفصيل النشأتين

و

تحصيل السعادتين

للإمام ابي القاسم الحسين بن محمد بن المفضّل الراغب
الاصفهاني المتوفى في رأس المائة الخامسة
قدّس الله روحه آمين

منقولة عن نسخة خطية قدسية ومقابلة على نسخة أخرى كتبها
لنفسه الشيخ رضي الدين بن ابي بكر الحلبي سنة ٩٦٣
ومصححة في غاية الدقة والاعتناء بمناظرة
الشيخ طاهر الجزائري

طبع في بيروت سنة ١٣١٩

فهرست الكتاب

وهو يشتمل على ثلاثة وثلاثين باباً

صحيفة

٠٢ ترجمة المؤلف

٠٣ مقدمة الكتاب

١٠ الباب الاول في معرفة الانسان نفسه

١٥ » الثاني في اجناس الموجودات وموضع الانسان منها

١٧ » الثالث في العناصر التي منها اوجد الانسان

٢٠ » الرابع في قوى الاشياء التي جمعت في الانسان

٢٢ » الخامس في تكوّن الانسان شيئاً فشيئاً حتى يصير انساناً كاملا

٢٥ » السادس في ظهور الانسان في شعار الموجودات وتخصصه بقوة شيءٍ فشيءٍ منها

٢٧ » السابع في ماهية الانسان

٢٩ » الثامن في كون الانسان مستصلحاً للدارين

٣٠ » التاسع في تمثيل ذات الانسان وتصويره

٣٧ » العاشر في كون الانسان هو المقصود من العالم وايجاد ما عداه لاجله

٣٩ » الحادي عشر في الغرض الذي من اجله اوجد الانسان ومنازلهم

٤٥ » الثاني عشر في تفاوت الناس واختلافهم

٤٧ » الثالث عشر في سبب تفاوت الناس

٥٠ » الرابع عشر في بيان الشجرة النبوية وفضلها على جوهر سائر البرية

٥٣ » الخامس عشر في هداية الاشياء الى مصالحها

٥٦ » السادس عشر في سعادة الانسان ونزوعه اليها

صحيفة

٦١ الباب السابع عشر في حال الانسان في دنياه وما يحتاج ان يتزود منها
٦٥ " الثامن عشر في تظاهر العقل والشرع وافتقار احدهما الى الآخر
٦٨ " التاسع عشر في فضيلة الشرع
٧١ " العشرون في بيان أن من لم يتخصص بالشرع وعبادة الرب فليس بانسان
٧٥ " الـ ٢١ في ما يتعلق به الشرع من الافعال
٧٧ " الـ ٢٢ في تحقيق العبادة
٧٨ " الـ ٢٣ في انواع العبادة من العلم والعمل
٨٢ " الـ ٢٤ في كون الغرض من العبادة تطهير النفس واجتلاب صحتها
٨٤ " الـ ٢٥ في بيان الامراض والانجاس التي لا يمكن ازالتها الا بالشرع
٨٨ " الـ ٢٦ في القوى التي تجب ازالة امراضها وانجاسها والمعاني التي تحصل منها
٨٩ " الـ ٢٧ في كون الانسان مفطوراً على اصلاح النفس
٩١ " الـ ٢٨ في سبب رذيلة الانسان وتاخره عن الفضيلة
٩٣ " الـ ٢٩ في احوال الناس ومنازلهم في تعاطي الافعال المحمودة والمذمومة وطرقها
٩٥ " الـ ٣٠ في ارتداد الانسان من طريق الخير والشر
١٠٠ " الـ ٣١ في قدر ما في الوسع من اكتساب السعادة
١٠٦ " الـ ٣٢ في اثبات المعاد وفضيلة الموت وما يحصل له بعده
١١١ " الـ ٣٣ في فضيلة الانسان اذا شرف على الملائكة

« ترجمة المؤلف »

قال في كشف الظنون : تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للامام ابي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الاصفهاني المتوفى في رأس المائة الخامسة مختصرٌ اوله : الحمد لله الذي ارسل بالنبوّة عبده رتبه على ثلاثة وثلاثين باباً وفصل فيه النشأة الاولى والنشأة الأخرى

وقال عند ذكر كتاب مفردات الفاظ القرآن العزيز له : قال السيوطي في طبقاته : كان في اوائل المائة الخامسة . ونقل عن خط الزركشي مانصه: ذكر الامام فخر الدين الرازي في (تأسيس التقديس في الاصول) ان الراغب من ائمة السنة وقرَنه بالغزالي . ه

وقال عند (ذكر الذريعة الى مكارم الشريعة) ـ الذي هو كالمقدمة لكتابنا هذا على ما يظهر من اسلوب الكتابين : قيل ان الامام حجة الاسلام الغزالي كان يستصحب كتاب الذريعة دائماً ويستحسنه لنفاسته .

وقال عند ذكر تفسيره : هو تفسير معتبر في مجلد اورد في اوله مقدمات نافعة في التفسير وطرزه (اسلوبه) انه اورد جملاً من الآيات ثم فسرها تفسيراً مشبعاً وهو احد مآخذ انوار التنزيل للبيضاوي . غير ان بعضهم جعل مفردات الراغب احد مآخذ القاضي البيضاوي في تفسيره ولا تنافي بين القولين . وبالجملة فالأمام الراغب ممن اجمعت على فضله العلماء الاعلام على اختلاف مشاربهم وتنوع مذاهبهم تغمده الله بالرضوان واسكنه فراديس الجنان ووفق ارباب الهمم العلية لنشر مؤلفاته والاستضاءة بنور مشكاته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ارسل بالنبوَّة عبده · وعلَّمنا على لسانه حمده ورغَّبنا فيما عنده · ونسأَله ان يُصلي على نبيه محمد وعلى آله وان يهدينا بأَوضح دليل · الى انجح سبيل · وبأَقوى حجـة · الى اوضح محجة

قال الشيخ ابو القاسم الحسين بن محمد بن المفضَّل الراغب : هذه رسالة في تفصيل النشأَتين وتحصيل السعادتين

اما النشأَتان فاحداهما المذكورة في قوله تعالى:« ولقد علمتم النشأَة الاولى فلولا تذكَّرون » · والثانية المذكورة في قوله تعالى : « ثم ينشىء النشأَة الآخرة ان الله على كل شيءٍ قدير »

واما السعادتان فاحداهما المذكورة في قوله تعالى : « اذكروا نعمتيَ التي أَنعمتُ عليكم » · والثانية المذكورة في قوله تعالى: « واما الذين سعدوا ففي الجنة »

وقد عملتُ ذلك للاستاذ الكريم ايده الله لما رأَيته معنيًّا

باكتساب الانسانية الموصلة الى السعادتين اعانه الله على استفادتها حتى يصير حاوياً لنوعها ومحامياً على معناها ومراعياً لخصائصها فقد كاد او قد كان قولنا الانسان لفظاً مطلقاً على معنى غير موجود واسماً لحيوان غير معهود كعنقاء مغرب ونحو ذلك من الاسماء التي لامعاني لها كما قال تعالى في صفة الاصنام المسماة آلهة : « إِنْ هي الاَّ اسماءٌ سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان » . وقال جلَّ جلاله : « ماتعبدون من دونه الاَّ اسماءً سميتموها » فجعلها اسماءً بلا مسمى ولم أَعنِ بالانسان كلَّ حيوان منتصب القامة عريض الظفر املس البشرة ضاحك الوجه ممن ينطقون ولكن عن الهوى . ويتعلمون ولكن ما يضرُّهم ولا ينفعهم . ويعلمون ولكن ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . ويكتبون الكتاب بأَيديهم ولكن يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا . ويجادلون ولكن بالباطل ليدحضوا به الحق . ويؤمنون ولكن بالجبت والطاغوت . ويعبدون ولكن من دون الله ما يضرُّهم ولا ينفعهم . ويبيّتون ولكن ما لا يرضى من القول . ويأتون الصلاة ولكن كسالى ولا يذكرون الله الا قليلا . ويصلّون ولكنهم من المصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون . ويذكرون ولكن اذا ذُكِّروا لا يذكرون . ويدعون

ولكن مع الله الهاً آخر . و ينفقون ولكن لاينفقون الاَّ وهم كارهون ويحكُمون ولكن حكم الجاهلية يبغون . ويخلقون ولكن يخلقون إفكا . فهؤلاء وان كانوا بالصورة المحسوسة ناساً فهم بالصورة المعقولة لا ناس ولا نسناس كما قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرَّم الله وجهه : يا اشباه الرجال ولا رجال بل هم من الإنس المذكور في قوله تعالى: «شياطينَ الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زُخرُفَ القول غُروراً» . وما ارى البُحتُرِيَّ اذا اعتبر جُلَّ الناس بالخُلق لا الخَلق مبعداً في قوله :

لم يبق من جُلّ هذا الناس باقيةٌ
ينالها الوهمُ الاَّ هذه الصورُ

ولا مَنْ يقول :

فجُلُّهمُ اذا فكَّرتَ فيهم حميرٌ او كلابٌ او ذئاب

ولا تحسبنَّ هذه الابيات اقوالاً شعرية واطلاقات مجازية فان الله تعالى يقول : «أَم تحسبُ أَن اكثرَهم يسمعون او يعقلون إن هم الاَّ كالأَنعام بل هم اضلُّ سبيلا» . وقد ابتدأتُ في هذه الرسالة عن جملة الموجودات ومكان الانسان منها ومبدأها ومنشأها ومنتهاها وماجُعل له من السعادة في الدارين باكتساب الانسانية وكيفية التطرق اليها وابتدأتُ بالتنبيه على وجوب معرفة

الانسان ذاته فمن علم أن شيئاً ما هو مما يجب ان يُعْلَم فانه وان لم يعلمه فقد يحصل له بذلك علمٌ . فمن العلم ان تعلم أنك لا تعلم وعلم الانسان بجهله احد العلمين * قال ابن عباس رضي الله عنه : من لم يجد مسّ نقص الجهل في عقله وذلّ المعصية في قلبه ولم يستبن الخَلَّة في لسانه عند كلال حدّه عن حدّ خصمه فليس ممن ينزع عن دنيّة ولا يرغب عن حال مَعْجَزَة ولا يكترث لفصل ما بين حجة وشبهة * وبقدر معرفة منفعة الشيء يحرص الانسان على طلبه ويصبر على تحمل المشقة في تحصيله ولذلك قال الله تعالى في صفة مَن جهل نفع مطلوبه : (وكيف تصبر على مالم تحط به خُبْرا) . فاعرف ايها الفاضل فضيلة الانسانية وما أُعدّ من الفلاح لمن تزكّى كما قال تعالى : (قد افلح من زكّاها) فإنها هي المكارم لا قَعْبان[1] من لبَن شيبا بماءٍ فعادا بعدُ ابوالا

ولا يتكأدنّك[2] بُعد الشقة وفعل من يروقك طاقه ورواقه فان جاوزت كسوته اليه فليس وراءَ عَبّادانَ[3] قرية بل لا تراه الا عبداً لحجرٍ او مدرٍ او بهيمةٍ او ظعينةٍ كمن ذمه النبي صلى الله

---

(١) مثنى قعب وهو القدح الضخم (٢) تكأدني الامر شقّ علي كتكاءدني (٣) عبادانَ جزيرة احاط بها شعبتا دجلة ساكبتين في بحر فارس

تعالى عليه وسلم بقوله : تعسَ عبدُ الدرهم تعس عبد الدينار تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش . فأنك في عنفوان شبابك ولدونة اغصانك *

واعلم انه ليس يحسن بذى همة قد احسن الله اليه في خَلقه وَخُلقه وقيَّض له مَنْ ربَّاه فاحسن تربيته وازاح في معاونته بعد بلوغه علَّته ان يرضى بأَن يكون حيواناً وقد امكنه ان يصير انساناً او بأَن يكون انساناً وقد امكنه ان يصير ملَكاً او بان يكون ملكا وقد امكنه ان يصير ملِكاً في مقعد صدق عند مليك مقتدر فتقوم الملائكة بخدمته كما قال الله تعالى : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار . وفقنا الله لذلك ولا جعلنا من الكسالى الموصوفين بقوله تعالى : (لوكان عرَضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتَّبعوك ولكن بعُدَتْ عليهم الشقة) جعلنا الله واياك من المؤمنين الموصوفين بقوله تعالى : (هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين) وبقوله : (اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايَّدهم بروح منه) حتى لاتغترَّ بما هو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى اذا جاءَه لم يجده شيئاً

تراجم ابواب الكتاب

وهي ثلاثة وثلاثون باباً

« ١ » ا في معرفة الانسان نفسه
« ٢ » ب في اجناس الموجودات وموضع الانسان منها
« ٣ » ج في العناصر التي منها اوجد الانسان
« ٤ » د في قوى الاشياء التي جمعت في الانسان
« ٥ » ه في تكوّن الانسان شيئاً فشيئاً حتى يصير انساناً كاملاً
« ٦ » و في ظهور الانسان في شعار الموجودات وتخصصه بقوة شيء فشيء منها
« ٧ » ز في ماهية الانسان
« ٨ » ح في كون الانسان مستصلحاً للدارين
« ٩ » ط في تمثيل ذات الانسان وتصويره
« ١٠ » ي في كون الانسان هو المقصود من العالم وايجاد ماعداه لاجله
« ١١ » يا في الغرض الذي من اجله اوجد الانسان ومنازلهم
« ١٢ » يب في تفاوت الناس واختلافهم
« ١٣ » يج في سبب تفاوت الناس
« ١٤ » يد في بيان الشجرة النبوية وفضلها على جوهر سائر البرية
« ١٥ » يه في هداية الاشياء الى مصالحها
« ١٦ » يو في سعادة الانسان ونزوعه اليها

«١٧» يز في حال الانسان في دنياه وما يحتاج ان يتزود منها
«١٨» يح في تظاهر العقل والشرع وافتقار احدهما الى الاخر
«١٩» يط في فضيلة الشرع
«٢٠» ك في بيان ان من لم يتخصص بالشرع وعبادة الرب فليس بانسان
«٢١» كا في ما يتعلق به الشرع من الافعال
«٢٢» كب في تحقيق العبادة
«٢٣» كج في انواع العبادة من العلم والعمل
«٢٤» كد في كون الغرض من العبادة تطهير النفس واجتلاب صحتها
«٢٥» كه في بيان الامراض والانجاس التي لا يمكن ازالتها الا بالشرع
«٢٦» كو في القوى التي تجب ازالة امراضها وانجاسها والمعاني التي تحصل بذلك
«٢٧» كز في كون الانسان مفطورًا على اصلاح النفس
«٢٨» كح في سبب رذيلة الانسان وتاخره عن الفضيلة
«٢٩» كط في احوال الناس ومنازلهم في تعاطي الافعال المحمودة والمذمومة وطرقها
«٣٠» ل في ارتداد الانسان من طريق الخير والشر
«٣١» لا في قدر ما في الوسع من اكتساب السعادة
«٣٢» لب في اثبات المعاد وفضيلة الموت وما يحصل له بعده
«٣٣» لج في فضيله الانسان إذا شرف على الملك

الباب الاول

في معرفة الانسان نفسه

قالت الحكماء مرةً : اولُ ما يلزم الانسانَ معرفتُه نفسُه وقالوا مرةً : اول مايلزمه معرفةالله تعالى . وليس بين هذين القولين منافاة فانهم عنوا بالأَول حيث قالوا معرفة النفس الاولَ من حيث الترتيب الصناعي وعنوا (بالأَول ايضاً) حيث قالوا معرفة الله الأَولَ من حيث الشرف والفضل فان معرفة الله هي افضل المعارف . وفي معرفة النفس اطلاع على امور كثيرة :

احدها : انه بواسطتها يتوصل الانسان الى معرفة غيرها ومن جهلها جهل كل ماعداها

والثاني : ان نفس الانسان مجمع الموجودات كما نبين بعدُ فمن عرفها فقد عرف الموجودات ولذلك قال الله تعالى : (أَولم يتفكَّروا في انفسهم ماخلق الله السموات والأَرضَ ومابينهما الاَّ بالحق وأَجلٍ مسمى وإِن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون) تنبيهاً على انهم لو تدبروا انفسهم وعرفوها عرفوا بمعرفتها حقائق الموجودات فانيها وباقيها وعرفوا بها حقيقة السموات والارضين

ولما انكروا البعث الذي هو لقاء ربهم قال الله : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبيَّنَ لهم أنه الحقُّ ٠) وقال : (وفي الارض آياتٌ للموقنين وفي انفسكم أفلا تبصرون)

والثالث: ان من عرَف نفسه عرَف العالَم ومن عرفه صار في حكم المشاهد لله تعالى وهو يخلق السموات والارض ولم يكن كالكفرة الجهلة الذين اثكلهم (١) هذه المنزلة فقال فيهم: (ما اشهدتهم خَلْق السموات والارض ولا خَلْق انفسهم وما كنتُ متخذَ المضلّين عضداً)

والرابع: انه يعرف بمعرفة روحه العالَم الروحاني وبقاءَه وبمعرفة جسده العالم الجسداني وفناءَه فيعرف خِسَّة الفانيات وشرف الباقيات الصالحات

والخامس : ان من عرف نفسه عرف اعداءَه الكامنة فيها المشار اليها بقوله صلى الله عليه وسلم : اعدى عدوّك نفسُك التي بين جنبيك فيستعيذ منها ٠ كما قال عليه الصلاة والسلام : اللهم الهمني رشدي وأعذني من شرّ نفسي ٠ وقال : لا تكلني الى نفسي طرفة عين فأهلك ٠ ومن عرف اعداءَه الكامنة ومكامنها وكيفية انبعاثها احسن ان يحترز منها وان يجاهدها فيستحق ماوعد

(١) الثكلى المرأة التي فقدت ولدها واثكلها الله جعلها ثكلى

الله به المجاهدين في سبيله ومن لم يعرفها فجدير ان يتراءى له عدوه الذي هو الهوى بصورة العقل فيتصوّر له الباطل بصورة الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : الهوى شيطان بل قال هو اله يُعْبَد من دون الله . وقد رُوي انه قال صلى الله عليه وسلم : ما عُبد في الارض الهٌ ابغضُ الى الله من الهوى ثم تلا : (أَفرأَيتَ مَنْ اتخذَ الهٰهُ هواهُ)

والسادس : ان من عرف نفسه عرف ان يسوسها ومن أَحسن ان يسوس نفسه احسن ان يسوس العالم فيصير من خلفاء الله المذكورين في قوله تعالى : (ويستخلفكم في الارض .) ومن الملوك المذكورين في قوله تعالى : (وجعلكم ملوكاً)

والسابع : ان من عرفها لم يجد عيباً في احد الاَّ رآهُ موجوداً في ذاته إما ظاهراً منبعثاً او كامناً فيه ككمون النار في الحجر فلا يكون هَمَّازاً ولَمَّازاً وعيَّاباً فان كل عيب تراءى له من غيره وجده في نفسه ومن رأَى عيب نفسه فجدير ان يكون ممن دعا له النبيُّ صلى الله عليه وسلم بقوله : رحم الله امرءًا شغله عيبه عن عيوب غيره * ومعرفة عيب النفس صعب من حيث ان كل انسان يحب نفسه وحبه لها يعميه عن معايبها كما قال صلى الله عليه وسلم : حبك الشيءَ يُعمي ويُصم * والأَعمى والأَصم عن عيب الشيءِ

قد يعجب به . ولا ضرر اعظم من إعجاب المرء بنفسه وقد قال بعض الحكماء : الكاذب في نهاية البعد عن الحق والمرائي اسوأ حالاً من الكاذب لأن الكاذب يكذب بقوله فقط والمرائي يكذب بقوله وفعله . قال : واسوأ حالاً منهما المعجب بنفسه لأن الكاذب والمرائي قد ينتفع بهما والمعجب بنفسه لا نفع فيه بوجهٍ ولأنهما قد ينفع وينجع وعظك فيهما لعلمها بنفسهما . والمعجب بنفسه لجهله يظنك في وعظك اياه مُلْغيا

والثامن: ان من عرف نفسه فقد عرف الله تعالى فقد رُوي انه ماانزل الله من كتاب الاَّ وفيه : اعرف نفسك ياانسان تعرف ربك وهذا معنى قوله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية * وفي هذا الخبر ثلاث تأويلات : احدها ان بمعرفة النفس يتوصل الى معرفة الله عز وجل كقولك اعرف العربية تعرف الفقه اي بمعرفة العربية يتوصل الى معرفة الفقه وان كان بينهما وسائط . والثاني انه اذا حصَّل معرفة النفس حصَّل بحصولها معرفة الله بلا فاصل كقولك بطلوع الشمس يحصل الضوء فيكون الضوء مقترناً بطلوعها غير متأخر عنها بزمان . والثالث ان معرفة الله تعالى ليست تثبت الا ان تُعرَف النفس لانك اذا عرفتها على الحقيقة فقد عرفت العالم فاذا عرفت العالم عرفت انه

محدَث وان لا بد له من محدِث لا يشبه المحدَث بوجه وذلك هو غايــة معرفة الله تعالى . قالوا وعلى هذا دل معنى قول امير المؤمنين كرَّم الله وجهه :ان العقل لاقامة رسم العبودية لالإدراك الربوبية ثم انشأ يقول :

كيفية النفس ليس المرء يعرفها فكيف كيفية الجبار في القدم
هو الذي أَنشأَ الأَشياءَ مبتدئاً فكيف يدركه مستحدَث النسم

وقال ايضاً :

العجز عن درَك الادراك ادراك والبحث عن سر ذات السر إشراك
وفي سرائر هِمَّات الورى هِمم عن ذا الذي عجزت جنٌّ واملاك
يهدي اليه الذي منه اليه هدى مستدركاً ووليُّ الله مدراك

وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه : يا من غاية معرفته القصورُ عن معرفته . وقال الله تعالى :« نسوا الله فأَنساهم أَنفسهم » تنبيهاً على انهم لو عرفوا أَنفسهم لعرفوا الله فلما جهلوه دلَّ جهلهم اياه على جهلهم اياها

الباب الثاني

في ذكر اجناس الموجودات وموضع الانسان منها

اعلم ان الله تعالى هو الواجب الوجود الذي لاسبب لوجوده بل هو سبب كل موجود · وكلُّ موجود فمنه وبه تعالى وجوده · والموجودات ضربان : المعقولات العلوية والمحسوسات السفلية وايجاده تعالى للمعقولات العلوية قبل ايجاده للمحسوسات السفلية كما رُوي انه اول ماخلق الله تعالى القلم ثم اللوح وقال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة · وروي انه اول ما خلق الله العقل فقال له أَقبل فأَقبل ثم قال له أَدبر فأَدبر فقال بعزتي وجلالي ماخلقتُ خَلقـاً اكرمَ عليَّ منك بك آخذ وبك أُعطي ولك الثواب وعليك العقاب * وليس المراد بالعقل ههنا العقول البشريـة بل الاشارة به الى جوهر شريف عنه تنبعث العقول البشرية · وقال قوم: العقل ههنا عبارة عن القلم المذكور في الخبر الآخر والله اعلم

ثم اوجد الله تعالى الروحانيات الذين لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وايجاد هذه الاشياء على سبيل الابداع · والابداع هو ايجاد الشيء لاعن شيءٍ موجود من قبل · ثم خلق

الاركان الاربعة والجمادات والناميات والحيوانات وختم بالصورة الانسانية كما دل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : خلق الله تعالى يومَ الاحد كذا ويوم الاثنين كذا الى ان قال وخلق الانسان يوم الجمعة آخر النهار . والخلق في اكثر الاحوال يقال في ايجاد الشيء من الشيء قبله كخلق الانسان من التراب ويقتضى تركيباً ولذلك قال الله تعالى : (ومن كل شيءٍ خَلقنا زوجين لعلكم تذكَّرون) . والى الاشياء المركَّبة اشار بقوله تعالى : (أولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم) . واعلم ان كل شيءٍ من المبدَعات فتامٌّ لا نقص فيه ولو كان فيه نقص لدل ذلك على نقصان مبدعه وصانعه فأما المخلوق الذي هو مركب من شيء فقد يحتمل ان يكون فيه نقص ويكون نقصه عارضاً من جهة ما تركب منه لا من جهه مركِّبه وفاعله فلهذا صارت المبدعات من الاشياء العلوية معرّاة عن اعتراض الفساد فيها حالا فحالا بل تبقى على حالتها الى ان يشاءَ الله تعالى ان يرفع العالم

والانسان انسانان : احدهما آدم الذي هو ابو البشر ويجري هو من سائر الناس مجرى البَذر الذي منه انشيء غيره والباري تعالى قد تولى بنفسه ايجاده وتربيته وتعليمه كما نبَّه عليه بقوله تعالى : (مامنعك ان تسجد لما خلقتُ بيديَّ) . وقوله تعالى : (وعلَّم آدم

الاسماءَ كلَّها)والثاني بنوه وموجدهم ايضاً الباري تعالى ولكن جعل انشاءهم وتربيتهم وتعليمهم بوسائط جسمانية وروحانية فالجسماني كالأبوين والروحاني كالملائكة المدبّرات والمقسّمات الذين يتولون انشاءه وتربيته كما روي في الخبر: الولد يكون اربعين يوماً نطفةً ثم يصير علقة ثم يصير مضغة ثم يبعثُ الله ملكاً فينفخ فيه الروح الى غير ذلك من الاخبار. ولكون الابوين سبباً في وجود الولد عظَّم الله تعالى حقهما والزم بعد شكره شكرهما فقال: (اشكر لي ولوالديك). ويسمى الولد ابناً وهو مشتق من بنيتُ البنيــة تنبيهاً على انه جار للاب مجرى البناء للباني

الباب الثالث

في ذكر العناصر التي منها أُوجد الانسان

ذكر الله تعالى العناصر التي خلق منها آدم عليه السلام ونبَّه على انه جعله انساناً في سبع درجات. واشار الى ذلك في مواضع مختلفة حسب ما اقتضته الحكمة فقال في موضعٍ خلقَه من تراب اشارةً الى المبدأ الاول. وفي آخرَ من طين اشارة الى الجمع بين التراب والماء. وفي آخر من حمأٍ مسنون اشارةً الى الطين المتغير بالهواء ادنى تغير. وفي آخرَ من طين لازب اشارةً الى الطين

المستقرّ على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة . وفي آخرَ من صلصال من حمإٍ مسنون اشارةً الى يُبسه وسماع صلصلة منه وفي آخر من صلصال كالفخار . وهو الذي قد أُصلح بأثر من النار فصار كالخزف وبهذه القوة النارية حصل في الانسان اثر من الشيطنة وعلى هذا المعنى دلَّ بقوله :(خلق الانسان من صلصال كالفخَّار وخلق الجانَّ من مارج من نار) . فنبه على ان الانسان فيه من القوة الشيطانية بقدر ما في الفخار من اثر النار وان الشيطان ذاته من المارج الذي لا استقرار له . ثم نبه الله على تكميل الانسان بنفخ الروح فيه فقال :(اني خالق بشرًا من طين فاذا سوَّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) . فهذه سبع درجات نبه عليها كما ترى . ثم دلَّ على تكميل نفسه بالعلوم والاداب بقوله تعالى: (وعلَّم آدم الاسماءَ كلَّها) ثم ذكر خلقَ بني آدم وعناصرهم التي اوجدها حالةً بعد حالة فنبه على انه جعلهم اناسًا في سبع درجات حسب ما جعل آدم عليه السلام فقال تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علَقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم انشأناه خَلْقًا آخرَ فتبارك الله احسن الخالقين . وقوله تعالى: (ثم انشاناه خلقًا آخرَ)اشار به الى ماجعل